

ساهم بمعنى شارك في العربية تاريخياً

د. عباس علي السوسوة
كلية التربية، تعز - اليمن

ليس من هم هذا البحث إجازة استعمال الفعل (ساهم) ومشتقاته، وليس من همه أيضاً تحريم استعماله، بل همه تتبع وجود هذه الصيغة في العربية الفصحى منذ أقدم نص وردت فيه حتى عصرنا، لنرى هل جاء الفعل (ساهم) بمعنى (شارك) أم لا؟

والمعلوم أن الأفعال تتعدد صيغها المأخوذة من جذر واحد، لأداء معانٍ صرفية نحوية كثيرة. وبعض هذه الصيغ قد تكون مستعملة في وقت دون وقت، وفي معنى دلالي دون معانٍ أخرى. غير أن الجزم بأن الصيغة الفلانية من المادة كيت معناها كذا لا غير، أو أن المعنى الفلاني هو للصيغة الفلانية دون غيرها، أمر محفوف بالخطأ؛ لأن ذلك يُلزم القائل بأنه قد تابع هذه الصيغة في استعمالاتها في عصر الاحتجاج، ثم ما بعد هذا العصر، لدى كبار الشعراء والكتاب، ولم يندّ عنه شيء منها. وهذه دعوى عريضة استمرأها حاملو عصا التصحيح اللغوي حتى وقتنا هذا.

فكثير من المصححين يقولون بأن الفعل (ساهم) خطأ، وأن صوابه أسهم "بحجة خلو المعجم القديم منه. غير أن هذه الحجة تجري على الفعل (أسهم) أيضاً. فليس في المعجم أسهم، ولا ساهم بمعنى المشاركة"^(١). والمعنى المرادف للمشاركة هو التقاسم نجده في أساس البلاغة للزمخشري، في مادة (س هـ م) ولكن بصيغة (تساهم).

بعض الباحثين أرجع تاريخ (ساهم) بمعنى (شارك) إلى العصر الجاهلي؛

(١) إبراهيم السامرائي: مع المصادر في اللغة والأدب، بغداد: الرشيد للنشر ١٩٨١م ج ٢/٧٠.

فها هو المرحوم عزيمة يقول: إن "سَاهَمَ بمعنى شارك"، جاء في قول زهير:

أبا ثابتٍ ساهمتَ في الحزمِ أهلهُ فرأيتُ محمودٌ وعهدك دائمٌ

ونسب هذا البيت إلى أبي الأسود الدؤلي، وهو موجود في ديوانه أيضاً^(٢).

ولم أجد هذا البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى، ولا في ديوان ابنه كعب. لكنه موجود في ديوان أبي الأسود الدؤلي^(٣) (ت ٦٩ هـ) مما ينسب له ولغيره. وإذن فهذه الصيغة التي حُطِّنت دائماً قد وردت في شعر من يُحتج بلغته في حين لم ترد الأخرى التي تُفضَّل عليها.

وفي عصر الاحتجاج باللغة جاءت بصيغة (تساهم) لدى الحكم الخصري المتوفى في أوائل القرن الثاني الهجري يصف امرأة:

"تساهمَ ثوباها، ففي الدرع رَأْدَةٌ وفي المرط لقاوان ردفهما عبلٌ"^(٤)

ويشرح عباس أبو السعود البيت قائلاً: إن ثوبيها اشتركا وتقاسما ستر جسمها: فقميصها غطى نعومتها، ومرطها أخفى فخذيها وعجيزتها المتسمة بالضخامة. ولقد عبر في هذا البيت عن المشاركة بالتساهم فقال تساهم، ولا فرق في المعنى بين ساهم وتساهم، لأن كلاً من فاعل وتفاعل موضوع لمعنى المشاركة بين اثنين فأكثر.

(٢) محمد عبدالخالق عزيمة: فهارس كتاب سيبويه، القاهرة: ط السعادة ١٣٩٥هـ، ص ٢٢ (الحاشية).

(٣) ديوان أبي الأسود الدؤلي، تح محمد حسن آل ياسين، بغداد: النهضة العربية ١٣٨٤هـ ص ١٣٣، وأشار المحقق إلى أنه أخذه من سمط اللآلي لأبي عبيد البكري ج ١/٦٦ فراجع.

(٤) أبو تمام الطائي: كتاب الحماسة، تح محمد عبدالرحيم عسيلان؛ الرياض: جامعة محمد بن سعود ١٩٨١م ج ٢/٧٢، وانظر: لسان العرب (مرط) ص ٤١٨٣، وعباس أبو السعود: أزهير الفصحى في دقائق اللغة، القاهرة: دار المعارف ١٩٧٠، ص ٢٨.

ومع ذلك نجد باحثاً يرفض التساهم بمعنى التشارك، لأنه ورد في شرح التبريزي بمعنى التقاسم!^(٥)

وبعد عصر الاحتجاج باللغة نجد (ساهم) في ديوان إبراهيم بن العباس الصولي (ت ٢٨٤هـ):

"ألا إنَّ عبدالله لَمَّا حوى الغنى وصار له من بين إخوانه مالُ
رأى خُلَّةً منهم تُسَدُّ بماله فساهمهم حتى استوت بهم الحال"^(٦)

ولا شك أن عبدالله شارك إخوانه في ماله حتى أصبحوا سواء في الغنى.

ونجد (المساهمين) بمعنى (المشاركين) عند الخوارزمي (ت ٣٨٣هـ)، يقول:
"ولا بد لمن شارك ربيبه في أيام الرخاء والمواهب، من أن يشاركه في أيام الغموم
والمصائب، ليكون قد خدمه في النوبتين، وتصرف معه في الحاليتين، وأثبت اسمه
في جريدة الشركاء المساهمين مرتين"^(٧).

وفي عام ٣٨٠هـ توفي ابن لأبي إسحاق الصابي، فأرسل صديقه الشريف
الرضي برسالة يعزيه؛ ومما جاء في رسالته: "وأنا المساهم له في تحمل النازلة،
والأخذ معه بأوفر الأقسام من النائبة"^(٨).

ونجد (يتساهم) بمعنى (يتشارك) عند ابن جني (٣٩٢هـ) في وصف كتابه
(الخصائص)، فهو "كتاب يتساهم ذوو النظر من المتكلمين والفقهاء والمتفلسفين

(٥) فوزي حسن الشايب: وقفة مع اللغة، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٣٥ (تموز -
كانون الثاني ١٩٨٨م).

(٦) ديوان إبراهيم بن العباس الصولي (ضمن الطرائف الأدبية) تح عبدالعزيز الميني، القاهرة
١٩٣٧م، ص ١٣٦-١٣٧.

(٧) رسائل أبي بكر الخوارزمي، بيروت: مكتبة الحياة ١٩٧٠م، ص ٧٨.

(٨) رسائل الصابي والشريف الرضي، تح محمد يوسف نجم، دائرة المطبوعات بالكويت
١٩٦١م، ص ٦٣.

والنحاة والكُتَّاب والمتأدِّبين التأمَّل له" (٩).

ثم نجد (سأهم) عند التوحيدي (ت ح ٤٠٠ هـ): "وأعرتك سمعي، وسأهمتكَ في جميع ما وقَّرتُهُ في أذني بالجزع والتوجع" (١٠).

ونجدها بصيغة المبني للمجهول عند المرزوقي (ت ٤٢١ هـ): "جاريته - أيدك الله - أمر شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وما فيه من عويص الأبيات وبديع المعاني والألفاظ، إلى غير ذلك ممَّا يستبد به فنُّه ولا يُسأهم، ويختص به نهجُه فلا يُقاسم" (١١).

ونجد (المساهمة) بمعنى (المشاركة) عند الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) في شرح ديوان المتنبي: "ولا تجري التهنئات بين أعضاء الإنسان وأجزائه لاشتراكهما في بدن واحد. وهذا طريق المتنبي، يدعي المساهمة والكفاءة مع الممدوحين في كثير من المواضع" (١٢).

ونجدها عند أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ): "فمعنى الأخوة المساهمة في السراء والضراء" (١٣).

ونجدها أيضاً في موضع آخر من الإحياء: "وقد يغضب رفقاًؤه فيحتاج إلى

(٩) ابن جني: الخصائص، تح محمد علي النجار، القاهرة: دار الكتب المصرية ٥٢-١٩٥٦م، ج ١/٦٧.

(١٠) أبو حيان التوحيدي: كتاب الإمتاع والمؤانسة، تح أحمد أمين وأحمد الزين؛ بيروت: مكتبة الحياة ج ١/٤.

(١١) المرزوقي، أبو علي، أحمد بن محمد: شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة، تح خلف رشيد نعمان، بيروت: عالم الكتب ١٩٨٧م، ص ٩٣.

(١٢) ابن المستوفي (شرف الدين، المبارك بن أحمد الإربلي): النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام، تح خلف رشيد نعمان، بغداد: دار الشؤون الثقافية ١٩٨٩م، ج ١/٤٤١.

(١٣) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، بعناية بدوي طبانة، القاهرة: ط عيسى الحلبي ١٩٥٧م ج ٢/١٧٨.

أن يغضب لغضبهم، إظهاراً للمساهمة في السراء والضراء"^(١٤).

ونجد (تساهم) بمعنى (تشارك) في شعر الطغرائي (ت ٥١٥هـ):

تساهم فيه الجود والبأس والحجا وزُهرُ المعالي والبيانُ المُصرَّعُ"^(١٥)

ونجد المساهمة بمعنى المشاركة عند الشاعر الأندلسي ابن خفاجة (ت ٥٣٣هـ). ليس في شعره، بل في مقدمة نثرية كتبها الشاعر لقصيدة جمع فيها بين الرثاء والمدح؛ فهو يعلل لهذا الجمع بقوله: "لما كان بين المادح والممدوح اشتراك في معنى الرثاء واشتباك، ولا اجتماعهما في خلة بعض الجلة، أفتتح الشعر بالرثاء على جهة من المساهمة والتعزية، ثم أردفُ بالمدح على نحو من التأنيس والتسلية"^(١٦).

ثم نجد ساهم بمعنى شارك في شعر أحمد بن منير الطرابلسي (ت ٥٤٨هـ):

"ساهمت عيسك مرَّ عيشك قاعداً أفلا قليتَ بهنّ ناصيةَ الفلا"^(١٧)

ونجدها عند القاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ) في حديثه عن الجاحظ: "ما مِنَّا إلا من أدخله داره، وساهمه بدره وأبداره"^(١٨).

(١٤) إحياء علوم الدين ج ٤٤/٣. وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦٩/٩: "وقد يغضب رفاؤه من أمر".

(١٥) مؤيد الدين، الحسين بن علي الطغرائي: ديوانه، إستانبول: ط الجوائب ١٣٠٠هـ، ص ٢٣.

(١٦) ديوان ابن خفاجة، تح السيد مصطفى غازي، الإسكندرية: منشأة المعارف ١٩٦٠م، ص ٢٠٣.

(١٧) صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٨ باعتناء محمد يوسف نجم، فيسبادون: فرانز شتاينر ١٩٧١م، ص ١٩٣.

(١٨) صلاح الدين الصفدي: الغيث المسجم شرح لامية العجم، بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٧٥م، ج ٢/١.

ونجد علي بن سليمان الحيدرة (ت ٥٩٩هـ) أحد نحاة اليمن في القرن السادس يعرف المساهمة بقوله: "والمساهمة هي المشاركة بين الشئيين"^(١٩).

وفي مراثية ابن الأبار الشاعر الأندلسي في شهداء وقعة بلنسية عام ٦٣٤هـ، نجد المساهم بمعنى المشارك:

"وهذي المراثي قد وفيتُ برسمها مُسَهَّمَةً، جهدُ الوفيِّ المساهم"^(٢٠)

ونجد صيغة الافتعال عند النووي (ت ٦٧٦هـ) مُعَرَّفَةً: "وليكن الثمر مخصوصاً بهما، مشروطاً على الاستهام. يعني بالاستهام: الاشتراك"^(٢١).

ونجد يُسَاهِمُ المبنية للمجهول في مقدمة ابن منظور لكتابه: "فاستخرتُ الله سبحانه وتعالى في جمع هذا الكتاب المبارك، الذي لا يُسَاهِمُ في فضله ولا يشارِك"^(٢٢).

والمعلوم أن مجمع اللغة العربية في القاهرة قد أجاز استعمال (سَاهَم) بمعنى شارك مستأنساً بما ورد في مقدمة (لسان العرب)^(٢٣). لكن بعض الباحثين^(٢٤) يرفض ذلك؛ بحجة أن الواو تقتضي المغايرة بين المعنيين، وأن لغوياً كابن منظور لا يمكن أن يكرر معنى كلمة واحدة في جملة واحدة.

(١٩) علي بن سليمان الحيدرة: كشف المشكل في النحو والتصريف وما في الشعر عليه المعول، تح هادي عطية مطر الهلالي، بغداد: وزارة الأوقاف ٨٤-١٩٨٥م، ج ٢/٤٥٢.

(٢٠) عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الرابع، تح إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة ١٩٦٤م، ص ٩٠.

(٢١) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، القاهرة: ط المنيرية ج ١ ق ٢، ص ١٥٧.

(٢٢) محمد بن منظور الإفريقي: لسان العرب، تح عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة: دار المعارف ٧٨-١٩٨١م، المقدمة ص ١٢.

(٢٣) مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٥٣م، ج ٧/١٨٧.

(٢٤) فوزي الشايب: وقفة مع اللغة، عمان: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني - العدد ٣٥ (تموز - كانون الثاني ١٩٨٨)، ص ٧٤.

وقد غاب عن الباحث أن عصر ابن منظور في أسلوب الكتابة عصر سجع، والسجع يوقع صاحبه فيما لا يحب، أضف إلى ذلك أن عطف المتقارب على المتقارب في المعنى، وعطف المرادف على المرادف ظاهرة ليست بالقليلة في الفصحى في مختلف عصورها.

وتكثر الصيغ الفعلية والاسمية الدالة على الاشتراك عند ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)؛ فقد جاء في مقدمته: "اعلم أنّ صاحب الدولة إنما يتم أمره - كما قلنا - بقومه؛ فهم عصابته وظهراؤه... ومساهموه في سائر مهماته" (٢٥).

وجاء في تاريخه: "وكان مساهمه في أمره معن بن مطاعن من فزارة وزير أبيه" (٢٦).

- "وبقي الآخران، وكانا في ظل ظليل من النعمة وحظ كبير من المساهمة في الجاه" (٢٧).

وفي حديثه عن قبيلة زناتة يقول: "ولما دخل بنو مرين للمغرب ساهموم في اقتسام أعماله" (٢٨).

ونجد (يساهم) عند القلقشندي (ت ٨٢١هـ): "ولكني أحمد الله تعالى على رواج سوق تألّفي ونفاق سلعته... حتى إن قلمي التأليف والنسخ يتسابقان في ميدان الطرس إلى اكتتابه، ومرتقب نجاهه للاستنساخ، ويساهمان في ارتقابه،

(٢٥) عبدالرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تح علي عبدالواحد وافي، القاهرة: مكتبة نهضة مصر ٧٩-١٩٨١م، ص ٥٦٧.

(٢٦) تاريخ ابن خلدون؛ المعروف بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، القاهرة: دار الطباعة الخديوية ١٢٨٤هـ ج ٦/٧٧.

(٢٧) المرجع السابق ج ٦/٣٣٩.

(٢٨) المرجع السابق ج ٧/٤٩. وانظر أمثلة أخرى في ج ٦/٢، ٣، ١٨٥، ٣٠٨، ٤٠٧ وج ٧/٦٢، ١٢٩، ٣١٤، ٤٣٦.

فضلاً من الله ونعمة" (٢٩).

ثم نجد المساهمة عند المقرّي (ت ١٠٤١هـ) نقلاً عن غيره: "قد وسّع الله عليك، فأحب أن تدفع لي ضياعاً من ضياعك أعمرها بيدي، وأؤدي إليك الحق منها، وأخذ الفضل لي طيباً أتعيّش منه. فقال: لا أرضى لك بالمساهمة، بل أهب لك هبة مسوغة" (٣٠).

ثم نجد صيغة اسم الفاعل عند الحيمي (ت ١١٥١هـ) في ترجمة جده الحسن ابن أحمد: "فلو رضي من الدنيا بزينة، لأوقرت ركائبه بالأحمال الرزينة، ولنثر الفلك فوقه النجوم دراهم، والبدور دنانير لم يكن له فيها مساها" (٣١).

ونجد (المساهمة) في المقدمة التي كتبها محمد رشيد رضا للطبعة الثانية من كتاب الرافعي (إعجاز القرآن) عام ١٣٤٦هـ، يقول: "وآدّعوا محاكاته في إعجازه بهديته، ومساهمته بإنبائه عن الأمور الغائبة المستقبلة" (٣٢).

*** **

وبعد الشواهد التي قدمناها، نجد أن الفعل (ساهم) بمعنى (شارك) ومشتقاته، قد استعملها في جميع عصور العربية الشعراء والأدباء واللغويون والمؤرخون وعلماء الدين والبلاغيون. أما صيغة (أسهم) المحببة عند بعض اللغويين المحدثين

(٢٩) أبو العباس، أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة: ط الأيرية ١٩١٣م ج ١٤/٤٠٣.

(٣٠) المقرّي: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، بيروت: دار صادر ١٩٧٢-٦٨م ج ١/٢٦٨.

(٣١) أحمد بن محمد الحيمي: طيب السمر في أوقات السحر، تح عبدالله محمد الجشي، صنعاء: مكتبة الإرشاد ١٩٩٠م، ص ٩٦.

(٣٢) مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ط ٨، القاهرة، مكتبة الآداب... (المقدمة).

فلم نجدها استعملت قديماً - حسب علمنا - ومن كان عنده (نص) يغنيها به عن
الاجتهاد فليأت به مشكوراً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،